العبـــقرية

علم وأدب وفن

للاستاذ الحومانى

أديب جبل عامل

قبل الكلام على واحد من هذه الثلاثة ، يجب أن نتكلم على النفس التي هي مصدر العلم والفن ، اللذين هما مصدر الحياة ، التي هي مصدر العالم

والنفس هنا هي جماع ما فى الجسم من جوهر ، وأما النفس التى هى نواة الحياة فى الحى مجردة عن الخصائص التى تعرضها ، فهى السر الكامن فى الجسم الحى الحساس ينبعث عنه الفعل أو ينفعل هو بما يعرضه في الحياة

فهى (١) على هذا التحديد الاعتبارى مجمع الخصائص فى الانسان كالارادة والفكر والعقل ونحوها من أمهات العمل الخارجى او الداخلى

ولما كان المرء عبارة عن شخصيته التى يمتاز بها ، وهي نتاج هذه الخصائص ، وكان هذا الجسم قشرة لذلك الجوهر ، أطلقت النفس على المرء بمجموعه قلباً وقالبا

فالنفس التي هي مصدر العمل طرداً وعكسا ، هى أم الارادة التى هى مصدر العمل طرداً لا عكساً ، اى ان النفس تفعل وتنفعل واما الارادة فتفعل ولا تنفعل ، إذا صح ان كبت الارادة إنما هو انفعال النفس ، لا انفعال الارادة كما سيمر بك .

أما مصدر هذه النفس وارادتها التى يتطور بها الانسان بله الحيوان روحا وبدنا فانما هو تلك القوة الماثلة هذا الكون ، او لعلها هي نفس الكون ، او لعل الكون إحدى جزئيات معناها الكلى .

ولم اكن لأومن كل الايمان انها «أى النفس الناطقة» ، نتيجة تفاعل هذه الخلايا ، أو انها احدى خواص هذا التركيب الجسدى ، او انها هى هو ، او انه ظرف يشتمل عليها ، وإن كان بعضها اقرب الى العقل من البعض الآخر

لا أومن بشىء من ذلك ، ولا بعدمه ، على رغم انى اعتقد باقتسام خصائص النفس اجزاء الجسم كالدماغ والقلب والأعصاب

لا أومن كل الايمان ، ولا أجحد كل الجحود ضرورة انه لم يثبت لدىّ أن الكائن مطلقا إنما هو نتيجة تفاعل المكين

(١) أي الاولى .

كما لم يثبت لدى عدمه مطلقا

فقد تكون الروح من الجسد مكان اللون والنور من الاجرام المرئية ، كما قد تكون منه مكان الطعم من الثمر والعطر من الزهر ، وقد تكون منه مكان الصدي والسير من السيارة ، كما قد تنزل منه منزلة السائق منها فتكون غيره

ولعلى لم آل جهدا فى التفكير بما يقفنى على هذه القوة (مصدر النفس) وا كتناه حقيقتها الغامضة ، او لعلى لم احجم عن درس أي كتاب اتصل بى صادرا عن أى مفكر في العالم للبحث عن هذه القوة ، فلم يزدنى كل ذلك علما بما وراء ما احس الا انه امرفاتنى حسه ففاتنى اكتناه سره ، ولم اكن لأقول فيه الا من و راء الحدس والظن

ولعل ما نقوله فى تلك النفس التى توحى الينا الفكر ، وتحرك السنتنا بالنطق ، انما هو من قبيل الخوض فى هذا التيار الحافل باسرار هـــذه القوة الغامضة فلم نقل فيه الا تخرصا وحدسا

ثم ما هى حقيقة هذه الارادة ؟

وما هو هذا الفكر ؟

هل هي وليدة انفعال تلك القوة العليا ؟

وهل هذا الفكر الذى نجول به فى عالم النفس هو وليد ما يصدر عن هذه الارادة من عمل ؟ أم هما معاً فعل تلك القوة الاولى ام نتيجة انفعالها ؟

وهل من الممكن لو لم يصدر عن الارادة عمل فى الحياة أن يتكون هنالك فكر يتدبر هذا العمل فنقول قد كانت ارادة ولم يكن فكر ، وسيبقى الفكر وتهرم الارادة ثم تموت ؟؟؟ اى أن الارادة هى التى اوجدت الفكر ، والفكر سيتغلب عليها بما يعضده من نواميس الاجتماع التي يسنها ، فيخلق الارادة حينئذ من جديد ويصبح الانسان ملكا

ومهما يكن من شىء فلا بد لنا قبل التعمق فى البحث عن الفكر من تحرير الارادة ، وهذا التحرير يستلزم كلمة تتناول ما و راء هذا العمل الخارجى من عامل داخلى

الانفعال :

الانفعال هو من عوارض النفس (١) بما يفاجئها من حوادث خارجية ، أو تصورات داخلية ، فالغضب الذى هو نتيجة انفعال النفس بما يثير حفيظتها ويمتهن قدرها ، والسرور الذى هو نتيجة انفعالها بما تتلقاه من نبأ سار ، هما من العواطف التى هى

(١) النفس هنا هى الثانية لا الاولى ، التى هي مجمع الخصائص كما علمت

نواة الشاعرية فى النفس ، والتي تنبعث عن هذا الانفعال .

وقد يكون الانفعال غير مفاجيء فينجم عن أمر الارادة للنفس بما يكبتها كاليأس الذى يتسرب الى النفس تدريجا بماتحدوها الارادة الي فعله من وراء الامل فتخفق في تحصيله جملة ، ويبقى لها رجاء بالحصول عليه ، ثم يضمحل هذا الامل تدريجا فيضغطها اليأس ويكون من وراء ذلك حزن عميق ينشأ عن انفعالها بالاخفاق

وقد ينشأ هـــذا الانفعال العميق بما تتلمسه النفس الشاعرة أمام مشهد اجتماعى له جلاله كالاثر الفخم والجند الزاحف ، أو منظر طبيعي له جماله ، كالحدائق الغضة والخمائل الملتفة والمروج الخضراء ، كل ذلك يفعل فى النفس ما يبعث فيها السرور أو الحزن فتنفعل به فالانفعال من عوارض النفس لا الارادة ، ضرورة انها تنفعل بما لاتريد

الارادة:

أكما تتاثر نفسك الشاعرة باحد المشاهد الاجتماعية ، أو المناظر الطبيعية ، فتنقبض أو تنبسط ، والفكر من ورائها يشرف على ثورتها ويحول دون طغيانها فينشأ بين جمالها وجلاله اثر فى الخارج ، هو نتيجة فعله وانفعالها ، أكذلك كانت هذه النفس وليدة القوة الاولى مصدر القوى الكونيه ، وكانت الارادة من لوازمها الذاتية ، ضرورة بقاء الحى حياً ، فهى لاتنفك عن النفس منذ الازل [1] ؟

ثم لابد لنا من تمهيد بسيط ، هو ان فى الأثر جزءاً من مؤثره ، سواء أكان الاثر معنويا ام ماديا كالحكمة والفن فى الاجرام التى نبتدعها . فالحكمة فى الاثر أعنى الغاية التي كان لها ، انما هى جزء من عقل المؤثر المجرد [2] يشير الى عظمته فى نوعه من هذه الناحية ، والفن فيه هو جزء من عقله المتخيل المبدع ، يشير الى عظمة المؤثر من حيث خياله وتصويره فى رقيه الفكرى

ومجموع الحكمة والفن في الاثر هو الجمال ، فجمال الجرم المبتدع هو مايروعك فيه من شكل ولون وهو الفن ، ومن سمو غاية وهو الحكمة ، وكذا الاثر المعنوى ، ففى البيت الواحد من الشعر او الفقرة الواحدة من النثر جزء من روح الشاعر أو الناثر تلمسه روح النافذ البصير من ورائهما

وهكذا الصورة والقلم ونحوهما من نتائج الفكر المادى ، ففيها جزء من روح الصانع يتراءى للحكيم من وراء صنعه . فجلال هذا الروح وجماله بجلال هذا الاثر وجماله

فني قول القائل :

لا يغرنك فى الشآم رجال موسموا بالرياء وجه الفرنسى
ربما اثرت العيون من الكحـ ـل وخلف الجفون منبت ورس

تتجلى روح لم تكن ، وانت الشاعر ، لتلمسها فى قول الاخر:

لايغرنّك منهم نفر اظهروا نحوك حبا ووداد
لو تبدى لك ما قد اضمروا لرأيت النار فى وسط الرماد

وهكذا فانك لاتستطيع ان تقابل ما فى الكرسى بما فى الساعة من حكمة الصانع ، فبقدر ما فى الصانع من عظمة يبدو لك ما فى صنعه من جمال او جلال

وكون هذا الاثر مرآة مصدره كما نشاهد من وقوفنا على روح الشاعر بدراسة شعره ، وفكرة الفنان بتحليل فنه هو أمر متحقق فى الخارج لاشبهة فيه

« يتبع » النبطية (جبل عامل) (الحومانى)

---

(١) قد يقف فى طريق هذا التلازم تقرير انفراد النفس دون الارادة والعقل فيما بعد ، فتامل

(٢) هذا الحكم اعنى جعل الفن والحكمة صادرين عن العقل باعتبارين مبنى على ماسنحققه من ان الجوهر المكنون في الجسم انما هو واحد بعد الارادة والنفس

شركة مصر لغزل ونسج القطن

تعلن شركة مصر لغزل ونسج القطن أنها أتمت تجهيز مبيضة ومصبغة بمصانعها بالمحلة الكبرى لتبييض وصباغة كافة انواع الخيوط والاقمشة القطنية والكتانية ولتجهيزها تجهيزاً نهائياً

وهى على استعداد تام لتبييض وصباغة كل ما يطلب منها بأسعار غاية فى الاعتدال ، ويسرها أن تجيب عن كل استعلام يطلب منها